بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله. قال الشيخ الإمام العالم أبو الفرج عبد الرحمن
بن علي بن محمد بن الجوزي رحمة الله عليه: الحمد لله حمداً يبلغ رضاه،
وصلى الله على أشرف من اجتباه، وعلى من صاحبه ووالاه، وسلم تسليماً لا
يدرك منتهاه. لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرض لها ثم
تعرض عنها فتذهب، كان من أولى الأمور حفظ ما يخطر لكيلا ينسى،
وقد قال عليه السلام: قيدوا العلم بالكتابة. وكم قد خطر لي شيء
فأتشاغل عن إثباته فيذهب فأتأسف عليه، ورأيت من نفسي أنني كلما
فتحت بصر التفكر سنح لي من عجائب الغيب ما لم يكن في حسابه، فأنثال
عليه من كثيب التفهيم ما لا يجوز التفريط فيه، فجعلت هذا الكتاب
قيد الصيد الخاطر، والله ولي النفع، إنه قريب مجيب.

فصل

قد تعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة، فإذا انفصل عن مجلس
الذكر عادت القساوة والغفلة، فتدبرت السبب في ذلك فعرفته،

ثم رأيت

ثم رأيت الناس يتفاوتون في ذلك، فالحالة العامة أن القلب لا
يكون على صفته من اليقظة عند سماع الموعظة بعدها لسببين: أحدهما
أن المواعظ كالسياط، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها إيلامها وقت
وقوعها. والثاني أن حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مزاح العلة،
قد تخلى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا وأنصت بحضور قلبه، فإذا عاد
إلى الشواغل اجتذبته بآفاتها، وكيف يصح أن يكون كما كان؟ وهذه
حالة تعم الخلق إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر؛ فمنهم من يعزم
بلا تردد ويمضي من غير التفات، فلو توقف بهم ركب الطبع لضجوا، كما
قال حنظلة عن نفسه: نافق حنظلة. ومنهم أقوام يميل بهم الطبع إلى
الغفلة أحياناً، ويدعوهم ما تقدم من المواعظ إلى العمل أحياناً، فهم كالسنبلة
تميلها الرياح. وأقوام لا تؤثر فيهم إلا بمقدار سماعه، كماء دحرجته
على صفوان. تقدم من المواعظ

فصل

جواذب الطبع إلى الدنيا كثيرة، ثم هي من خارج، وربما
ظن من لا علم له أن جواذب الآخرة أقوى لما يسمع من الوعيد في القرآن،
وليس كذلك، لأن مثل الطبع في ميله إلى الدنيا كالماء الجاري فإنه
يطلب الهبوط، وإنما رفعه إلى فوق يحتاج إلى التكلف، ولهذا جاءت معاون
الشرع بالترغيب والترهيب يقوي جند العقل، فأما الطبع فجواذبه
كثيرة، وليس العجب أن يغلب، إنما العجب أن يُغلب.

فصل

Copyright © King Saud University